٢ - المقـــــر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« المقر » فى الأدب العربى :

بعض ماقيل فى الأدب العربى .

قال الراعى الشاعر :

وأنضاءٍ أنخن إلى سعيد ... طروقاً ثم عجلن ابتكارا
على أكوارهن بنوسبيل ... قليل نومهم إلا غراراً
حمدن مزاده ولقين منه ... عطاء لم يكن عدة ضماراً
فصبحن « المقرّ » وهن خو ... ص على روح تلقين الحمارا

ولجرير :

تبدل يا فرزدق مثل قومى ... لقومك إن قدرت على البدال
فإن أصبحت تطلب ذاك فانقل ... شمـيما والمقـر إلى وعال

غالب بن صعصعـة :

غالب بن صعصعة ، أبو الفرزدق ، من أجواد العرب ، وكان مسرفاً فى جوده إلى حـد الجنون . وإليك أمثلة من ذلك .

عمّ الجدبُ بلاد تميم . وذلك فى خلافة عثمان ، وبلغهم عن خصـب فى بلاد كلب وبره ، فانتجعوها ونزلوا أقصى الوادى ، فنحر غالب ناقة فأطعمهم إياها ، فوردت إبل سحيم الرياحى فنحر منها ناقة فى اليوم الثانى ، فقيل لغالب إنما نحر سحيم مساواة لك . فقال كلا ، ولـكنه رجل كريم ، وسوف أنظر ذلك ، فلمـا وردت إبل غالب نحر منها ناقتين ، فعقر سحيم مثله ، فقال غالب : الآن علمت أنه يوائمنى ، ثم إن غالباً عقر عشراً ، فعقر سحيم عشراً مثله ، فلما بلغ غالب فعله ضحك وكانت إبله ترد لخمس ، فلما وردت نحرها عن آخرها ، فالمقل يقول إنها كانت مئة ، والمـكثر يقول إنها أربعمائة .

ومما يروى عن تطرف غالب فى كرمه أنه نحر فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه بالـكوفة مائتى ناقة ، فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والجبال لحمـل اللحم ، ورآهم على بن أبى طالب (رض) فقال ، أيها الناس : لا يحل لـكم إنمـا أهل لغير الله ، وكان الفرزدق حينذاك غلاماً . فـكان غالب يقول له يابنى اردد على الإبل ، والفرزدق يردها عليه ويقول يا أبتى انحر .

وفاة غالب :

مر ركب من بنى فقيم وبنى نهشل ، ومعهم امرأة من بنى يربوع معها أولاد لهـا يريدون البصرة على غدير من ماء السماء (بالقبيبة) عليه جارية لغالب تحرسه ، فوردوا المـاء فمنعتهم الجارية ، فضربوها واستقوا ، فأتت المرأة أهلها ، فأخبرتهم الخبر ، فركب الفرزدق فرساً وأخذ رمحاً وطلب القوم حتى أدركهم ، فشق أسقيتهم وعقر ذنب بعير المرأة وقال فى ذلك :

لعمر أبيك الخـير ما رغم نهشل
علىّ ولا حرداؤهـا بكبـير
وقد علمت يوم القبيبـات نهشـل
وحرداؤها أن قد منوا بعسـير
عشـية قالوا إن ماءكم لنـا
فلاقوا جواز المـاء غـير يسـير
وكم تركوا من خلف نحى وبرمة
واحدد ضخم الخصـيتين عقـير
فما كان إلا ساعـة ثم أدبرت
فقـيم بأعضاد لهـا وظهـور

وقدم الركب البصرة وحاول قوم المرأة وإخوتها أن يثأروا لهـا ، فقالت : لا . حتى يشب ابنى ، فإن صنع شيئاً وإلا أخذتم بثـأرى . وكان أكبر أولادها اسمه ذكوان ، فلما شب ، تزين فى أحد الأعياد ، فقال له ابن عمه : ما أحسن هيئتك يا ذكوان لو كنت أخذت بثأر أمك ، فقال أفى ذلك ما يؤنب عليـه ؟ فقال ابن عمه نعم ! فاستنجد ذكوان بابن عم له ، وخرجا من البصرة حتى أتيا غالبا بالحزن متنـكرين ، وكان غالب على (ذات الجلاميـد) ، فلم يقدروا عليـه ، فانتظرا حتى تحمل يريد كاظمة ، فعرّضا له ، فقال ذكوان أتبيعنى هـذا البعير ، وكان البعير أكثر إبل غالب حمـلا ، فقال الفرزدق نعم ، فقال ذكوان حط عنه حتى أنظر إليه . فأناخوا البعير ، وحطوا عنه ، فنظر إليه ذكوان ، وقال لا أريده ، فشغل الفرزدق ومن معه بإعادة الحمل على البعير .

فدحق ذكوان غالباً وهو فى محمل ، وعديلته أم الفرزدق ، فعقر بعيرهما . وعقر بعير جعثن أخت الفرزدق ثم هرب ، وزعم مليص الفقيمى أن غالباً لم يزل واجدا منهما حتى مات وفى ذلك يقول ذكوان :

زعمتم بنى الأقيان أن لن نضركم
بلى والذى تزجى إليه الرغائب
لقد عض سيفى ساق عود فتاتكم
وخر على ذات الجلاميد غالب

وزعم بنو مجاشع وهم قوم الفرزدق أن غالباً عاش بعد هذا عشرين عاماً .

قبر غالب فى المقر :

مات غالب فى أول خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ودفن فى « المقر » بكاظمة ولا يعلم قبر أجار فى جاهلية ولا إسلام غير قبر غالب ، وقد أقسم الفرزدق بأنه لا يلوذ بقبر أبيه أحد وقع فى مصيبة أو حاجة إلا قضاها . وقد بر الفرزدق بقسمه ، فلم يلذ أحد بالقبر إلا قام بمساعدته ولم يذكر التاريخ أنه تخلف عن أحد من الناس لاذ بقبر أبيه . وأخبار من لاذوا بالقبر — فلم يتخل عنهم الفرزدق — كثيرة ، ونحن نذكر طرفا منها .

كان لمسلم بن جبير ابن قتل ابن عم له ، فذهب مسلم إلى معاوية ابن أبى سفيان يسأله الدية فطرده معاوية . ثم ذهب إلى مروان فطرده . فذهب مسلم يبحث عن الدية لابنه عند أكثر القبائل العربية ، فلم يحصل على شىء ، فقالت له عجوز : هل أدلك على شىء إن أنت فعلته حمل عنك دم ابن أخيك ؟ فقال مسلم هاتى ! قالت اذهب إلى « المقر » وعذ بقبر غالب فإن ابنه سيدفع عنك الدية ، حتى ولو كانت عشر ديات . فذهب مسلم حتى جاء « المقر » وضرب له قبة حول قبر غالب ، وأخذ يصيح : يا غالب إنى عائذ بك . فأبلغ الفرزدق خبر ذلك ، فجعل يصيح : لبيك لبيك : وهو خارج من البصرة إلى كاظمة ، ولا يلاقى أحداً إلا قال له : قل لمسلم إن دية ابن أخيه عندى ، فدفعها له . وقال فى ذلك :

إذا المرء لم يحقن دما لابن عمه
بمخلولة من ماله أو بمقحم
فليس بذى حق يهاب لحقه
ولا ذى حريم تتقيه لمحرم

ومنها يذكر الاستغاثة بقبر أبيه :

فقالوا استغث بالقبر أو أسمع ابنه
دعاءك يرجع ريق فيك إلى الفم
فأقسم لا يختار حيا بغالب
ولو كان فى لحد من الأرض مظلم
دعا بين أرام المقر ابن غالب
وعاذ بقبر تحته خير أعظم
فقلت له أقريك عن قبر غالب
هنيدة إذ كانت شفاء من الدم
فقام عن القبر الذى كان عائذاً
به إذ أطافت عيطها حول مسلم

إلى أن قال :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب
قرى مئة ضيفا ولم يتكلم
أبى صاحب القبر الذى من يعذ به
يجره من الغرم الذى جر والدم

ومن أخبار قبر غالب ، ما رواه الضبى قال : ضرب مكاتب خيمة على قبر غالب ، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا خيمة على قبر أبيه ، فأرسل الفرزدق إلى صاحب الخيمة فجاءه مكاتب وقال :

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما
خشيت الردى أو أن أرد على قسر
فخاطبنى قبر ابن ليلى وقال لى
فكاكك أن تلقى الفرزدق فى المصر

فقال له الفرزدق : صدق أبى . انح . انح ثم طاف الفرزدق فى الناس فجمع له أكثر مما يريد .

ومن أخبار قبر غالب المشهورة ، أن امرأة أتت باب خالد بن عبد الله القسرى القائد ، تسأله أن يرد ابنها إليها . وكان ابنها مع الجيوش العربية فى السند ، فأهمل خالد طلبها . فضاقت عليها الأرض ، فقيل لها لو عذت بقبر غالب لرد الفرزدق إليك ابنك ، فذهبت إلى الفرزدق وقالت : إنى عذت بقبر أبيك حتى يرد إلى ابنى ، فقال الفرزدق : وأين ابنك ؟ ، قالت : مع تميم بن زيد فى السند واسمه خنيس ، فكتب الفرزدق إلى تميم بن زيد أبياتا منها :

(البقية على ص ٠٠)